النشاط الاقتصادي في مملكة الخزر

أ.م.د. وفاء عدنان حميد

كلية الاداب -جامعة بغداد

Economic activity in the Kingdom of the Khazars

Asst. Prof. Dr. WAFAA ADNAN HAMEED

College of Art , Baghdad University /Iraq

Abstract:

This research deals with the economic activity in the Kingdom of the Khazars, the Jewish Kingdom, which was based on vast regions of Russia, Ukraine and parts of the Caucasus, and the Caspian Sea. The ruling class was inhabited by a mixture of religions and ethnic groups such as Christians, Muslims, pagans and other beliefs. The rule of the dynasty embraced the Jewish religion and became a significant force for nearly four centuries and for the period between (30-440 / 650-1048 m) where remained resistant to the Islamic conquests despite the efforts of many conquerors since the Rashidi and Umayyad and Abbasid until the disappearance of the Kingdom by the Russians B Direct assistance from the Byzantine state that was the effect of hostility religious and political differences. In spite of the many wars fought by the rulers of the Khazars, but this did not reflect the effects on economic activity as the sources indicate that the Caspian countries and present the city of Atil and its seas and ports attracted a kiss for traders from different countries, and the Muslim merchants coming from Baghdad, Egypt and Persia and other cities in The traders and close links to this Kingdom, and on their part the work of the rulers of this country to provide security and services to these traders and secure their lives and protect their commercial convoys during their stay in the Caspian and its territories.

المقدمـــــة

يتناول هذا البحث النشاط الاقتصادي في مملكة الخزر تلك المملكة اليهودية التي قامت على أصقاع شاسعة في روسيا واوكرانيا وأجزاء من القوقاز وصولاً إلى بحر الخزر، وكان يسكنها إلى جانب اليهود الطبقة الحاكمة خليط متعدد من الاديان والاثنيات كالنصارى والمسلمين والوثنيين وغيرها من المعتقدات، وتقع هذه البلاد تحت حكم سلالة أعتنقت الديانة اليهودية وأصبحت قوة لا يستهان بها لما يناهز اربع قرون وللفترة بين (٣٠-٤٤٠ه/٦٥٠-١٠٤٨م) حيث بقيت عصية على الفتوحات الاسلامية على الرغم من جهود الفاتحين الكثيرة منذ العهد الراشدي والاموي والعباسي حتى زوال هذه المملكة على يد الروس بمساعدة مباشرة من الدولة البيزنطينية التي كانت تناصبها العداء أثر خلافات دينية وسياسية.وعلى الرغم من كثرة الحروب التي خاضها حكام الخزر إلا أن ذلك لم ينعكس آثاره على النشاط الاقتصادي إذ تشير المصادر إلى أن بلاد الخزر وحاضرتها مدينة أتيل وبحارها وموانيها أصحب قبلة للتجار من مختلف البلدان، وكان التجار المسلمين القادمين من بغداد ومصر وبلاد فارس وغيرها من المدن في طليعة التجار وعلى صلات وثيقة بهذه المملكة، ومن جانبهم عمل حكام هذه البلاد على توفير الامن والخدمات لهؤلاء التجار وتأمين أرواحهم وحماية قوافلهم التجارية خلال مكوثهم في بلاد الخزر والاقاليم التابعة لها.ومن حيث الاهمية

الاقتصادية فقد عرف النشاط الاقتصادي في بلاد الخزر بكثرة خيراته وتنوع مصادرة كالذهب والفضة والجلود الخزرية والعسل والشمع وغيرها فضلاً عن تطرق البحث إلى روايات تمس الزراعة والصناعة والتجارة إذ سنحاول الاجابة عن أسباب أزدهار النشاط الاقتصادي وعدم تأثره بالحروب والصراعات التي خاضها حكام هذه البلاد بين ثنايا هذا البحث.

تاسيس مملكة الخزر

تجمع المصادر على أن مملكة الخزر التي نشأت في آسيا الوسطى وأجراء من روسيا وكييف وأجزاء من القوقاز ثم توسعت حتى ضفاف بحر الخزر وأجزاء من اوربا ففي هذا الشان يذكر الحميري أن الخزر بلاد العظيمة تضم اراض في شرق وغرب البلاد الروسية وهي مقسمة إلى قسمين شرق وغرب بحر الخزر فضلاً عن أنها تضم جبال تفليس وأجزاء من ارمينيا ، والحقيقة أن حدود هذه المملكة كانت عرضة للتغيير بسبب طول فترة حكم مملكة الخزر التي دام حكمها ما يناهز أربع قرون التي أمتدت ما بين القرن الاول والخامس الهجريين / السابع والحادي عشر الميلادي ،[١] وقد سكن هذه المملكة خليط من الشعوب والقبائل التركية وفروعها كالاويغور[٢] فضلاً عن أقوام آخرى كالصقالبة والروس وغيرهم من الشعب الاوربية، كما أن تلك المصادر تجمع على أن حكام تلك البلاد من أتباع الديانة اليهودية كما أن غالبية سكان هذه المملكة ممن كانوا يعتنقون الديانة اليهودية لا سيما في حاضرة تلك المملكة مدينة أتيل ، في حين كان عدد النصارى أكثر في الاقاليم التابعة لهذه المملكة على مايبدو ، فضلاً عن عدد محدد من المسلمين طبقاً لما ورد في معظم روايات الاسلامية عن تلك البلاد وسكانها ، ولعل أفضل من وصف بلاد الخزر ونشاطها الاقتصادي هو الرحالة العربي ابن فضلان[٣] (ت٣٤٩هـ/٩٦٠م) الذي زار هذه البلاد بعدما كان على رأس السفارة التي أرسلها الخليفة العباسي المقتدر بالله[٤] (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) إلى ملك الصقالبة في أرض البلغار، والذي دون مروياته ومشاهداته الحياة عن أرض البلغار وبلاد الخزر وروسيا وغيرها من البلدان حيث تطرق أبن فضلان في مروياته عن بلاد الخزر الذي أكد على الهوية الدينية اليهودية لحكام هذه البلاد الذي يطلق عليه أسم الخاقان الكبير وقد وصفه بالحاكم المتواضع الذي يشارك هموم رعيته في تدبير أمور المملكة ،[٥] ولم تكن المعلومات التي ذكرها ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عن مملكة الخزر تختلف عما ذكرته المصادر الاسلامية والبلدانية الاخرى بذكر أن سكان هذه المملكة في غالبيتهم من الاتراك الذين يعتنقون الديانة اليهودية إلى جانب عدد من المسلمين الذي يقدر عددهم بحدود عشرة الاف فرد ، وكان لهم عدد كبير من المساجد يقيمون فيها الصلوات ،[٦] في حين يذكر أبن عبد الحق(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) بان مملكة الخزر تقع خلف بلاد الترك ومعظم سكانها من غير المسلمين ، وعلى الرغم من تعدد الروايات حول أصل وتركيبة تلك القبائل إلا أننا سنركز على أهمية النشاط الاقتصادي في بلاد

الخزر.[٧]وكانت نهاية هذه المملكة على يد السكان روسيا الذين تحالفوا مع الامبراطورية البيزنطية حيث أسهم هذا التحالف عن أحتلال مدن تلك المملكة الواحدة تلو الاخرى وكان ذلك في سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨ م حيث أنهارت مملكة الخزر اعتباراً من هذا التاريخ .[٨]

النشاط الاقتصادي في مملكة الخزر

يعد النشاط الاقتصادي في مملكة الخزر لا سيما في الشطر الاخير من حكم هذه السلالة أي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي من أميز اقتصاديات البلدان آنذاك لتنوع مصادر ثروتها فضلاً عن النشاط الكثيف للتجارة والزراعة ونوعاً ما الصناعة فضلاً عن الضرائب المفروضة على الرعايا والعاملين في تجارة والانشطة الاقتصادية الاخرى ، على الرغم من أن هذه المملكة لم تخضع للحكم الاسلامي بالرغم من جهود الفاتحين في العصر الراشدي والاموي والعباسي إلا أن التجار المسلمين كانوا على صلات وثيقة مع سكان هذه المملكة واقاموا علاقات تجارية واسعة معها ،[٩] حيث سنحاول الوقوف على أهم المرويات التي تناولت الجانب الاقتصادي، ويأتي على رأس تلك الانشطة العمليات التجارية الواسعة التي عرف فيها سكان مملكة الخزر .

النشاط التجاري في مملكة الخزر

يعد النشاط التجاري في مملكة الخزر من أهم الانشطة الاقتصادية في هذه البلاد طبقاً لما ورد من أشارات في المصادر العربية والاسلامية لما كانت تدره العمليات التجارية أموال طائلة على حكام هذه المملكة وسكانها ، إذ يؤكد الرحالة أبن فضلان على أزدهار تجارة أهل الخزر مع مختلف البلدان ومنها بطبيعة الحال البلدان الاسلامية حيث كان هذا الرحالة شاهد عيان بنفسه على السلع التي تدخل إلى مملكة الخزر عبر الطرق البرية والبحرية التي تنقل عبر السفن ،[١٠] وعن طبيعة السلع التي يتم التجارة فيها فهي كثيرة ومتنوعة مثل الذهب والفضة والنحاس والشمع والجلود فضلاً عن ازدهار تجارة الرقيق بشكل واسع تمثل ذلك بظهور اسواقاً عديدة للنخاسة في هذه المملكة كان يتردد عليها تجار من مختلف البلدان لما كان لها من شهرة واسعة آنذاك ،[١١] لكن رواية ياقوت الحموي عن رخاء مملكة الخزر تختلف جزئياً عما يرد في معظم المصادر إذ يذكر الحموي " ولا يجلب شيء من مملكة الخزر ، وانما يحمل إلى تلك المملكة مختلف السلع مثل الشمع والعسل والدقيق "[١٢] وبحسب رواية الحموي فإن ما يستورد من سلع وبضائع في مملكة الخزر أكثر مما يصدر وهي رواية تحظى بالقبول نوعاً ما لا سيما أن هذه المملكة كانت تفتح ابوابها امام التجارة لذا من غير المستبعد أن يكون ما يصل إليها من سلع أكثر مما تصدر، وهي رواية تبدو واقعية أكثر إذ ما قارناها مع ما ذكره المسعودي(ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) الذي يذكر عن حجم السلع الهائلة التي تدخل عبر الخزر (بحر قزوين) [١٣] لا سيما السلع القادمة من مختلف المدن الروسية التي لم تكن تخضع لمملكة الخزر ،[١٤] ومن المواد التي ذائع صيتها في بلاد الخزر هو وفرة العسل ذات

الجودة العالية على الرغم من أن تلك المصادر أختلفت عليه فيما بينها فمنهم من أشار إلى هذا العسل كان ينتج في تلك البلاد ، ومنهم من أشار إلى أنه كان يصل من خارج الخزر، وعلى آية حال فإن معظم المصادر تؤكد على وفرة وجودة العسل في هذه البلاد . ومن ناحية أخرى فقد أتفقت المصادر على كثرة الاسماك وأزدهار تجارتها في بلاد الخزر فضلاً عن كونه مادة رئيسة للغذاء لسكانها ، وهي روايات صحيحة بدون أدنى شك فمن المعروف أن بلاد الخزر تقع على بحر الخزر (بحر قزوين) الذي يحتوي على أعداد هائلة من الاسماك مرتفعة الاثمان والمعروفة بجودتها ونذكر منها على سبيل المثال الكافيار المعروف بشهرته على نطاق واسع ، فضلاً عن ذلك فقد يرد في الروايات أخبار عن أزدهار تجارة التوابل والفواكه المجففة والكروم من وإلى بلاد الخزر، وهو مايعني أن هذه البلاد كانت محطة وسوق للتجار لا سيما البضائع القادمة من الشرق كالتوابل والبهارات المعروفة بارتفاع أثمانها .[١٥] ومن السلع التي أشتهرت فيها مملكة الخزر تجارة الجلود والفراء إذ أن ما وقع بين أيدينا من مصادر تؤكد على جودة الجلود في هذه المملكة لا سيما التي تستخرج من الثعالب الخزرية المعروفة بشهرتها الواسعة في البلدان الاخرى، والتي تنقل عبر البحر إلى المدن الروسية والمدن الاخرى المشهورة آنذاك كبغداد والقسطنطينية وغيرها من البلدان المعروفة، وفي هذا الشان يذكر المسعودي(ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) عن جلود الثعالب بالقول " تحمل جلود الثعالب السوداء من بلاد الخزر وكذلك من أقليم برطاس عبر السفن إلى مختلف البلدان والتي يبلغ ثمنها الكثير، وتحمل إلى ملوك الاعاجم ، ويتخذ منها القلانس كما يصل بعضها إلى بلاد الاندلس والصقالبة والافرنج وغيرها "[١٦] في حين أن بعض المصادر تشير إلى أن اسواق الخزر كانت تستورد الفراء من أرض البلغار الذي يعاد تصديره بشكل خاص إلى البلدان الاسلامية .[١٧]غير أن التجارة الاهم والاكثر ربحاً على ما يبدو في بلاد الخزر هي أنتشار تجارة الرقيق بالنظر للأعداد الهائلة للرقيق التي كانت تغزو أسواقها، وارتفاع أثمان البعض منها قياساً إلى أسواق الرقيق في البلدان الاخرى ، إذ يذكر أبن فضلان وجود أسواقاً خاصة لتجارة الرقيق في بلاد الخزر وأن اعداداً منها تنقل إلى عدد من البلدان الاسلامية في حين يذهب جزء الاكبر من هؤلاء الرقيق إلى مختلف المدن الاوربية والاسيوية ،[١٨] ومع أن رواية ياقوت الحموي تتفق على رواج تجارة الرقيق في بلاد الخزر إلا أنه يذكر أن نشاط تجارة الرقيق شاع في صفوف الوثنيين بشكل خاص الذين كانوا يقدمون على بيع أبنائهم بعكس أصحاب الديانات السماوية ، وأن اليهود والنصارى والمسلمين يكرهون بيع ابنائهم ، مع أن غالبية من يتواجد في سوق الرقيق يتم جلبهم من المدن الاوربية وبعض مدن الهند ،[١٩] وهي رواية نجد لها ما يؤيدها إذ يشير المستشرق دنلوب إلى حد بعيد ما ذهب إليه ياقوت الحموي في روايته عن تجارة الرقيق في مملكة الخزر . [٢٠]وكان للموقع الجغرافي أثر كبير في أزدهار التجارة في هذه البلاد لا سيما موقعها البحري المتميز على بحر

الخزر إذ يذكر أبن فضلان أن السفن ترسو بكثرة في بلاد الخزر منها وإليها لا سيما القادمة من البلدان الروسية والاسلامية وغيرها من البلدان وأنه وصل بنفسه إلى هذه البلاد عبر أحد السفن التجارية المتوجهة إلى تلك البلاد ،[٢١] فيما يشير الحميري إلى أن السلع القادمة من بلاد الخزر تصل إلى مدينة بغداد عبر نهري دجلة والفرات في رحلة تستغرق عدد من الايام في طريقها نحو مدينة بغداد دون أن يحدد عدد تلك الايام بشكل دقيق لوصول تلك البضائع ،[٢٢] في حين يشير بارتولد إلى كثافة النشاط الاقتصادي بين مملكة الخزر ومدينة خراسان إذ يؤكد أن أعداداً كبيرة من التجار تنقل السلع لا سيما تجارة الملابس والمنسوجات الصوفية ،[٢٣] ومن جانب آخر تنقل الروايات عن استقرار عدد من تجار بلاد الخزر في البلدان الاسلامية حتى أنهم أقاموا في حي خاص بهم في مدينة سر من رأى (سامراء) عندما أصبحت مركزاً للخلافة العباسية ، فضلاً عن مناطق آخرى استقر فيها التجار الخزريين مثل مدينة الاسكندرية وغيرها من المدن الشهيرة .[٢٤]وفي رواية لأبن فضلان عن التجار المسلمين المقيميين في بلاد الخزر يذكر هذا الرحالة أن أحكام وعادات المسلمين في تجارة تختلف عن عادات وتجار من أهل الخزر والروس والصقالبة دون مزيد من الايضاح حول تلك العادات والاختلافات ، ولكن ما يستشف من هذه الرواية يمكن أن يكون أن التجار المسلمين لا يتعاملون بالربا وغيرها من المحرمات التي حرمها الشرع الاسلامي بخلاف عادات تلك الاقوام التي لا تجد حرج في التعامل في الربا وربما هذا ما كان يقصده الرحالة أبن فضلان عند حديثه عن عادات التجار المسلمين المقيمين في تلك البلاد .[٢٥]والشي المهم الذي يجب الاشارة إليه أن حكام الخزر عملوا على توفير الحماية إلى التجار الاجانب على أختلاف معتقداتهم الدينية والاثنية ، وليس هذا فحسب بل أن أهل الخزر كانوا ينظرون اليهم بأحترام بالغ ويقدموا لهم الرعاية والخدمات خلال تواجدهم في عاصمة الخزر مدينة اتيل التي تقع بالقرب من نهر الفولغا ، وهو ما ساهم إلى حد بعيد بتطور ونمو واردات التجارة التي تجمع المصادر بأنه المصدر الرئيس في اقتصاد مملكة الخزر .[٢٦]

أحوال النشاط الزراعي في مملكة الخزر

يعد النشاط الزراعي في مملكة الخزر من أهم الموارد الاقتصادية بعد التجارة إذ تؤكد المصادر على سعة وشمولية هذا الجانب الحيوي ، وتعدد المحاصيل التي تزرع في هذه البلاد ، فقد لعبت الزراعة دوراً مهماً في أنعاش الحياة الاقتصادية لأهل الخزر حيث أمتهن عدد كبير منهم الزراعة على الرغم من أصول تلك القبائل البدوية التي نزحت من آسيا الوسطى وهضبة الاناضول والمعروف عنها بكثرة التنقل وعدم الاستقرار بحثاً عن مصادر الرزق لكن توفر الظروف المثالية للزراعة وخصوبة الارض فضلاً عن وفرة المياه في هذه المملكة لكونها تطل على أحد اكبر البحار إلا وهو بحر الخزر ، كما أن حاضرة هذه البلاد مدينة أتيل تقع على ضفاف نهر الفولغا مما جعل

تلك القبائل تقدم على الاستقرار واستثمار تلك الاراضي وزراعتها إذ تشير المصادر العربية إلى تشجيع حكام الخزر الاهالي على زراعة السهوب واستثمارها لا سيما زراعة الحبوب والرز والفواكه فضلاً عن أنشاء حظائر خاصة لتربية الجمال والخيول في تلك المزارع ،[٢٧] وفي هذا الصدد يذكر ياقوت الحموي عن أحوال الزراعة في مملكة الخزر بالقول " يخرج أهل الخزر للزراعة في فصل الصيف ويقوموا بزراعة نحو عشرين فرسخاً ثم يجمعوا المحاصيل حيث تنقل بعدها عبر البحر في حين ينقل البعض الاخر عبر الصحاري إلى المدن "[٢٨] وفي الحقيقة أن رواية ياقوت الحموي تبدو غير واضحة ويشوبها الغموض فهو لم يوضح مقدار زراعة العشرين فرسخاً في مدينة أتيل مركز مملكة الخزر أم أنه يشمل ايضاً السهوب وغيرها من المدن ، وفي طبيعة الحال أن هذا المقدار الذي ذكره الحموي لا يبدو كبيراً ويتناسب مع ما ورد المصادر الاخرى عن كثافة المحاصيل في بلاد الخزر ، ثم يكمل ياقوت الحموي رواياته عن الزراعة في هذه البلاد بالحديث عن شيوع تربية الحيوانات المفترسة ،[٢٩] في حين تشير روايات آخرى إلى أنتشار الزراعة في الاقاليم التابعة لمملكة الخزر ومنها على سبيل المثال اقليم برطاس[٣٠] واتساع رقعة الاراضي الزراعية في هذا الاقليم وكثرة الاشجار فيه فضلاً عن شيوع تربية الابقار والاغنام في المزارع خاصة ، كما تتحدث المصادر عن جودة الجمال بلاد الخزر وهي جمال صغيرة الحجم ،[٣١] وما نجده من روايات آخرى عن الزراعة في بلاد الخزر تكاد تتشابه وتركز على زراعة الفواكه والخضروات لا سيما المزروعات التي تزرع في فصل الصيف من السنة حيث يذكر الحميري " أن في بلاد الخزر مزارع وفيرة وفواكه ونعم كثيرة " وهذا النص يشير بوضوح إلى ثراء هذه المملكة ووفرة خيراتها الزراعية .[٣٢]

نشاط الصناعة في مملكة الخزر

على الرغم من ندرة الروايات التي وقعت بين أيدينا عن نشاط الصناعة في بلاد الخزر وهو مؤشر يندر بطبيعة الحال عن قلة هذا النشاط في هذه البلاد إلا أن مملكة الخزر أشتهرت بصناعات النوعية والسلع باهظة الثمن إذ يشير الرحالة أبن فضلان شيوع صناعة الذهب والفضة وانتشار الناجم على نطاق واسع وليس هذا فحسب بل أن بعض المصادر تشير أن العمال في مناجم الذهب الخزريين كانوا يشرفون على مناجم الذهب والفضة في البلدان المجاورة لمملكة الخزر لمهارتهم في هذا المجال ،[٣٣] وفي رواية تؤكد على ما أشرنا إليه يؤكد ياقوت الحموي على وفرة الذهب في مملكة الخزر حيث يسرد رواية عن بأن قصور الملك تفرش بالديباج المنسوج بالذهب فضلاً عن تذهيب بعض قبور الملوك .[٣٤]ومن بين الصناعات النادرة التي أشتهرت فيها بلاد الخزر هي صناعة الملابس والقلانس والمعاطف والمنسوجات الصوفية الاخرى ، وكنا قد أسلفنا رواية عند الحديث عن التجارة بأن تجار بلاد الخزر كانوا يجلبون أفضل أنواع الفراء والقطن حيث يقوم

الحرفيين بغزل هذه المواد الخام وتصديرها إلى البلدان الاخرى حيث يصل بعضاً منها إلى أراضي الخلافة العباسية ،[٣٥] إلا أن صناعة الملابس كانت محل خلاف في المصادر العربية إذ يذكر الاصطخري أن بلاد الخزر لم تنتج أي نوع من انواع الملابس ، وانما يتم أعادة تصديرها بعد جلب تلك الملابس من مختلف الاصقاع وبحسب رواية الاصطخري كانت سوقاً لاجود انواع الملابس من مختلف البلدان ولم تكن تقوم بصناعتها لكن رواية الاصطخري تبدو ضعيفة إذ ما قارنت بروايات الرحالة أبن فضلان كون الاخير زار بلاد الخزر وهو يتحدث عن مشاهداته الحية لذلك نرى أن رواية أبن فضلان أقرب للحقيقة من رواية الاصطخري.[٣٦]غير أن حكام مملكة الخزر أهتموا بشكل خاص بصناعة الاسلحة لاسيما أن هذه تقع إلى جوار من أعظم قوتين من الناحية العسكرية آنذاك وهما كل من الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطينية ، وقد دخلوا في صراع مباشر مع هاتين القوتين في أغلب فترات حكم هذه المملكة التي ناهز عمرها اربع قرون ، ومن هنا فقد حتمت الضرورة على حكام الخزر الاهتمام بالصناعات العسكرية لا سيما صناعة الدروع والسيوف والاقواس وبرز منها الرماح بشكل خاص الذي عرف بشهرته خلال المعارك .[٣٧]ومع ذلك فإننا نؤكد على ندرة الصناعات في بلاد الخزر حيث لم نجد في المصادر أي معلومات عن الصناعة في هذه البلاد سوى صناعة الذهب والفضة والسلاح والملابس ، وبشكل عام يمكن القول أن الصناعة كانت متدنية ومحدودة في بلاد الخزر ولا تناسب ما حظيت به هذه البلاد من امكانيات ووفرة المواد الخام بفعل النشاط الكثيف للتجارة والزراعة ، وهذا ما أشار إليه معظم المصادر التي أرخت تاريخ هذه المملكة .[٣٨]

جباية الضرائب في مملكة الخزر

تعد جباية الضرائب من أهم الموارد المالية لما توفره مبالغ طائلة لحكام هذه البلاد بفعل ضريبة الرؤوس على الافراد وكذلك الضرائب التي تفرض على التجار والحرفيين والمزارعين وغيرهم .ومن أهم الموارد المالية التي توفرها الجباية هي الضرائب الباهظة التي فرضها حكام مملكة الخزر على السلع التجارية التي تمر عبر بحر الخزر ويصل قيمة بعضها إلى عشرة بالمائة من قيمة البضاعة المستوردة ، وهو مبلغ هائل بدون أدنى شك لا سيما أن حكام هذه المملكة أقاموا علاقات تجارية مع مختلف البلدان على الرغم من الدخول في عداء مع بعض تلك الدول أبتغاء تحقيق أكبر قدر من المكاسب المالية فضلاً عن توفير السلع الضرورية لسكان الخزر ،[٣٩] وهي روايات نجد لها صدى في المصادر إذ يذكر الاصطخري أن من أهم موارد مملكة الخزر هي ضريبة العشر المفروضة على السلع التجارية القادمة عن الطرق البحرية والبرية ، وكذلك ما توفره ضريبة الرؤوس أو ما يعرف بالجزية في المصادر الاسلامية من مبالغ هائلة لحكام مملكة لا سيما أن هؤلاء الحكام لم يفرقوا بين شيخاً كبيراً او طفلاً صغيراً فكان الهدف من فرض هذه الضرائب

مادي بحت ويهدف إلى جمع أكبر مقدار من المال ،[٤٠] وكان جمع تلك الضرائب يتم عن طريق المبالغ النقدية أو العينية ، وفي كثير من الاحيان يتم جمع تلك الضرائب بطريقة فيها الكثير من التعسف مما يخلق حالة من الفوضى وقيام الرعايا الروس والصقالبة وغيرهم بالكثير من التمردات التي كانت تقابل بالقسوة الشديدة ، في حين كان من يتولى جمع هذه الضرائب يحظى بمكانة عالية لدى حكام هذه المملكة ويعد من حاشية الملك الخاصة .[٤١]ويمكن القول أن لسياسة الانفتاح الاقتصادي التي أتبعها حكام الخزر وفتح الطرق التجارية وتقديم تسهيلات للعاملين في التجارة وتامين على حياتهم وممتلكاتهم أثر بالغ في أزدهار التجارة ونمو واردات المالية في البلاد نتيجة هذا النشاط الكثيف حتى غدت هذه البلاد واحدة من أهم المراكز التجارية والمالية آنذاك ، على الرغم من أن بعض المصادر تشير أن سياسة الانفتاح كانت تركز لتحقيق أكبر قدر ممكن من الارباح والجشع في فرض الضرائب على السلع والبضائع لكن تلك السياسة خلقت مجتمع غير متجانس أدى في نهاية المطاف إلى الاطاحة في هذه المملكة على يد ملوك روسيا الوطنيين بمساعدة من الامبراطورية البيزنطينية بفعل التغلغل في صفوف هذه المملكة عن طريق التجار الروس ومعرفة بواطن القوة والضعف في اركان هذه المملكة قبل أكتساحها ، وكان ذلك في آواخر سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨ م وهو التاريخ الذي سقطت فيه مملكة الخزر ، حيث بدأ عهد جديد في حياة سكان هذه البلاد ونشاطها الاقتصادي بقيادة الروس أهل البلاد الاصليين .[٤٢]

الخاتمة

تناول هذا البحث النشاط الاقتصادي في مملكة الخزر التي أمتد حكمها للفترة ما بين (٣٠-٤٤٠هـ/٦٥٠-١٠٤٨م) ، وأهم ما توصلنا إليه في هذا البحث هو تاكيدنا على أزدهار النشاط الاقتصادي في هذه المملكة حيث أصبحت عاصمة بلاد الخزر ومركزها مدينة اتيل من المراكز التجارية المهمة آنذاك ،على الرغم من الخلافات السياسية التي كانت على أشدها آنذاك فقدت مد حكام هذه المملكة جسور التواصل مع مختلف البلدان ومنها بطبيعة الحال المدن الاسلامية إذ كان التجار المسلمين على صلات وثيقة بهذه المملكة ، وأقاموا علاقات تجارية واسعها معها ومن جانبه قدم حكام هذه البلاد كافة التسهيلات والخدمات وعملوا على حماية التجار وقوافلهم التجارية أبتغاء تحقيق أكبر قدر ممكن من الارباح أثر الضرائب الهائلة التي فرضت على العمليات التجارية أثناء مكوث هؤلاء التجار في بلاد الخزر وموانيها . أما فيما يخص النشاط الزراعي فعلى الرغم مما عرف به أصول تلك القبائل التركية البدوية التي عرف عنها التنقل بحثاً عن مصادر الرزق إلا أن أهتمام حكام هذه المملكة وتقديمهم الدعم للفلاحين أصبحوا ينشدوا الاستقرار واستثمار الاراضي الزراعية بما يعود بالنفع على الدولة من خلال فرض الضرائب وايضاً طالت تلك المنافع هذه القبائل التي عرفت الاستقرار بسبب الارباح التي كان يحصل عليها هؤلاء الفلاحين نتيجة أستثمار

تلك الاراضي ، وهو ما تمت الاشارة إليه بين ثنايا هذا البحث عن مملكة الخزر ونشاطها الاقتصادي .

الهوامش

(١) احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، رسالة أبن فضلان ،(دمشق: المجمع العلمي العربي، د.ت) ، صص ٢٣_٢٦ ؛ شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧م) ، ج٢ ، صص ٣٦٧-٣٦٨ ؛ محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ط٢ ، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م) ، صص ٢١٨-٢١٩

(٢) الاويغور : وهي أحد الشعوب التي تنحدر من القبائل التركية ، وكان موطنها الاصلي في آسيا كبير في قيام الامبراطورية المغولية بعد أن ضمهم جنكيزخان إلى أمبراطوريته . للمزيد من المعلومات انظر : شيرين بياني ، المغول التركيبة الدينية والسياسية ، (بيروت :المركز الاكاديمي للابحاث ، ٢٠١٣م) ، ص ٢١ .

)٣) أبن فضلان : وهو احمد بن العباس بن راشد بن حماد، وكان على رأس السفارة التي أرسلها الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى أرض البغار وذلك في سنة ٣٠٩ه/٩٢١م، حيث وصل إلى أرض الخزر ، وعندما عاد دون مشاهداته الحية عن تلك البلاد وأنشطتها وعاداتها الاجتماعية والاقتصادية ، للمزيد من المعلومات انظر : أبن فضلان ، رسائل أبن فضلان ، صص ١٤ _١٦

(٤) المقتدر بالله : وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد ، وكان أصغر الخلفاء العباسيين تولياً والغلاء والتمرد الذي قام به أبن المعتز . للمزيد من المعلومات انظر: جلال الدين بن عبد الرحمن ابي بكر بن محمد السيوطي(ت٩١١ه/١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٧ .

(٥) أبن فضلان ، رسائل أبن فضلان ، صص ١٦٩-١٧٠ .

(٦) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(٧) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي(٧٣٩ه/١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، (بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص ٤٦٥ .

(٨) دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، نقله للعربية سهيل زكار ، (دمشق : دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٩٠ م) ، ص٢٩٥-٢٩٧ .

(٩) أبي جعفر بن جرير الطبري (ت٣١٠ه/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ط٢،(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م) ، ج٧ ، ص ٦٤٩ ؛ غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون بن العبري (ت٦٨٥ه/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، ط٢(بيروت: دار الرائد اللبناني، ١٩٩٤م) ، ص ٣٥٠ ؛ دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، صص ٩٩-١٠١ .

(١٠) أبن فضلان ، رسائل أبن فضلان ، صص ١٦٩-١٧١؛ دنلوب ، تاريخ يهود ، ص ٣٠٩ .

(١١) أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي(ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) ، التنبيه والاشراف ، (القاهرة : دار الكتب الملكية ، ١٩٣٨م) ، صص ٣٥-٥٥ .

(١٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(١٣) بحر قزوين : وهو البحر الذي يطلق عليه في المصادر التاريخية ببحر الخزر ، كما يشتهر بجودة الثروة السمكية فيه كالكافيار ، ويطل في الوقت الحالي على خمس دول وهي كل من أذربيجان وروسيا وايران وتركمانستان وكازخستان . للمزيد من المعلومات انظر : المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٥٣؛ مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ،(بيروت : دار رواد النهضة ، د.ت) ، ص ١٣٩.

)١٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، صص ٥٣-٥٥ .

(١٥) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، صص ٥٤- ٥٦ ؛ دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ١٤٣

(١٦) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٥٥ .

(١٧) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(١٨) أبن فضلان ، رسائل أبن فضلان ، ص ٣٠٩ ؛ دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ٣٠٢ .

(١٩) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(٢٠) دنلوب ، تاريخ يهود الخزر، ص ٣٠٢ .

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٣٠٤ .

(٢٢) الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ١١١.

(٢٣) فاسلي فلاديمير بارتولد ، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ،(الكويت: مطبعة قسم التراث العربي، ١٩٨١م) ، ص ٣٦٨ .

(٢٤) أبو العباس أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي(ت ٢٨٤هـ/٨٩٧ م) ، البلدان ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢م) ، ص ١٦٢

(٢٥) أبن فضلان ، رسائل أبن فضلان ، ص ١٧٢ .

(٢٦) الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ١١١ .

(٢٧) دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ٢٩٨ .

(٢٨) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(٣٠) اقليم البرطاس : وهو أقليم واسع يقع تحت سيطرة حاكم بلاد الخزر ويحاذي أرض البلغار ، (ت٦٨٢هـ/١٢٨٤م) ، آثار البلاد وإخبار العباد(بيروت: دار صادر د.ت) ، ص ٥٧٩ .

(٣١) الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، صص ٢١٨-٢١٩

(٣٢) الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ١١١ .

(٣٣) دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ٣٠٢ .

(٣٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٦٩ .

(٣٥) دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ٣٠٠ .

(٣٦) ابو اسحاق محمد بن ابراهيم الاصطخري ، المسالك والممالك (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، (ليدن :١٩٢٧) ، صص ٢٦٨-٢٧٠ .

(٣٧) محمد عبد الشافي المغربي ، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطنيين، (الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢م) ، ص ١٨٩ .

(٣٨) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(٣٩) دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ٣٠٩ .

(٤٠) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٦٨ .

(٤١) المغربي ، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطنيين، ص١٨٧ .

(٤٢) المرجع نفسه ، صص ٢١٥-٢١٨ .